الأنوار النوروزية الكبرى

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

يومُ النَّوروزِ هو بدايةُ السَّنةِ الجديدةِ حسبَ التَّقويمِ الْمُتَّبَع في آسيا الوسطى، وهو عيدٌ لرأسِ السَّنةِ واحتفالٌ بقدومِ الرَّبيعِ وتجدُّدِ الطَّبيعةِ بعدَ انقضاءِ البردِ.

ويأتي في الرابع من شهر نيسان من كلِّ عام حسبَ التقويمِ الشَّرقي. وقد جاءَ عن الإمام جعفر الصَّادق (علينا سلامُهُ) قوله: (هو اليومُ الذي طلعَتْ فيه الشَّمسُ، وهبَّتْ فيه الرِّياحُ اللَّواقحُ، وخُلِقَتْ فيـه زهرةُ الأرضِ، وهو اليومُ الـذي أُخِـذَ فيه العهدُ لأميرِ المؤمنينَ بغدير خمٍّ، وهو اليومُ الذي يَظهرُ فيه قائمُنا أهلَ البيتِ).

سُمِّيَ (نوروز) وهوَ اصطلاحٌ يتألَّفُ من مَقطعين: (نور) وَ(روز) تَعنِي اليوم، ومَعناهُ بالعَرَبيَّةِ: يومُ النُّور، وفَسَّرَها البعضُ: اليومُ الجديد.

حـاولَ البعضُ ربطَ هـذا اليوم بـالدِّياناتِ السـُّوريَّةِ القديمةِ الوثنيَّةِ من خلالِ ربطِهِ بتَمجيدِ (عشـتار) وصـعودِ (بعلَ) من الجحيمِ إلى عالمِ النُّورِ والخلودِ! وحاولَ البعضُ ربطَهُ بعبادةِ النَّارِ عندَ الْمَجوسِ! وهذا غيرُ صحيح.

حتَّى أنَّ البعضَ حاولوا اتِّهامَ الصَّحابيِّ الجليلِ سَلمَانِ الفَارسِيِّ (ع) بنَقْلِهِ من بلادِ فارس وإدخالِهِ للإسـلامِ، لكنَّ هذا غيرُ صـحيحٍ، عِلمًا أنَّ موالاتَنا لسـيِّدنا سـلمان فَخرٌ لا عَيبٌ، ولابدَّ من التَّذكيرِ في البدايةِ بقولِ سيِّدنا رسُولِ اللهِ محمَّد (ص): (سلمانُ منَّا أهلِ البيتِ)، فقيل له: أَمِنْ بني هاشم؟ فقال: (نَعم، مِن بني هاشم، عَلِمَ عِلْمَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ).

يجبُ أنْ نَتَجَاوَزَ في نَظرَتِنا الحدودَ الضَّيِّقةَ للشَّرائعِ والْمَذاهبِ والطَّوائفِ، ونَسموَ في مَعَارِفِنا للبحـثِ عن الحقِّ في كـلِّ زمـانٍ ومكـانٍ، ونَنْطَلِقَ في فَهمِنـا للـدِّينِ الحقِّ من كلامِ اللهِ وأقوالِ العترةِ الطَّاهرةِ، وهذا قانونٌ بالنِّسبةِ لنا شاءَ مَن شاءَ وأبى مَن أبى.

نحنُ نحتفلُ بيومِ النَّوروزِ لأنَّ الإسـلامَ لم يُعَارضِ النَّوروزَ بل أيَّدَهُ، بدليلِ قولِ الإمامِ جعفر الصَّـادق (علينا سـلامُهُ): (يوم نوروزٍ هو يومٌ يفضَّلُ على سائرِ الأيامِ كفضلي على سائرِ الخلقِ، وهو نورٌ لِمَن عَرَفَهُ ورُوزٌ يُجيرُ من سـَخَطِ اللهِ وعَذَابِهِ، وهو اليومُ الذي تَابَ فيه على آدمَ في قوله تعالى:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، وقوله لسيِّدنا الْمُعَلَّى بن خُنَيس (ع): (إذا كانَ يومُ النَّوروزِ فاغتسِلْ، والْبسْ أنظفَ ثيابكَ، وتَطَيَّبْ بأطيبِ طِيبِكَ)، فالغَسلُ في الشَّرعِ هو طَهَارةُ الجسدِ من الجَنَابةِ، أمَّا في الحقيقةِ فطَهارةُ النَّفسِ لا تكونُ إلا بمعرفةِ علومِ أهلِ البيتِ.

فِي مثل هذا اليوم– كما وردَ عن الإمامِ جعفر الصَّادق (علينا سلامُهُ)– أَسْجَدَ اللهُ ملائكتَهُ لسيِّدنا النَّبيِّ آدم (ع)، وأخذَ الْمَواثيقَ على العبادِ أن يَعبُدُوهُ، ونَزَلَتِ النَّارُ الهائلةُ من السَّماءِ لِتَتَقبَّلَ قربانَ الوصيِّ هابيل (م)، واستوَتْ سفينةُ سيِّدنا رسول الولايةِ نوح (علينا سلامُهُ) على الجوديِّ، وجَعَلَ اللهُ النَّار بَردًا وسَلامًا على خَليلِهِ رسول الولايةِ إبراهيم الخليل (علينا سلامُهُ)، وَعَرَجَ سيِّدنا النَّبيُّ محمَّد (ص) إلى السَّماء، وحَمَلَ رسولُ اللهِ (ص) أميرَ المؤمنينَ الإمامَ علي (م) على منكبيهِ حتَّى رَمَى أصنامَ قُرَيش من فَوقِ الكعبةِ فَهَشَّمَها.

فِي مِثلِ هذا اليومِ أيضًا آنَسَ اللهُ سيِّدنا النَّبيَّ موسى الكليمَ (ع) من النَّارِ في قوله تعالى: (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى)، ولَمَّا أَتَاها كَلَّمَهُ اللهُ منها دَلالةً منه أنَّ العبادةَ لَهُ لا لِغَيرِهِ، أي أنَّ العبادةَ لِمَن قال لِمُوسى عندَ الْمُناجاةِ: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)، فالعِبَادةُ للهِ بالإخلاصِ هيَ الدِّينُ الصَّحيحُ الَّذِي ما بعدَهُ لِطَالِبٍ مَطلَبٌ.

فِي مِثلِ هذا اليومِ أيضًا اختَارَ سيِّدنا النَّبيُّ مُوسَى الكليمُ (ع) مِن قَومِهِ سَبعِين رَجُلاً لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَهُوَ قَولُهُ تَعَالَى: (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي)، فأَخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ وَمَاتُوا، فرَشَّ عَلَيهِمُ الْمَاءَ فأحيَاهُم برَشِّ الْمَاءِ.

فِي مِثلِ هذا اليومِ أيضًا وردَ أنَّ قومًا من بني إسرائيلَ خَرَجوا من دِيَارِهم حَذَرَ الْمَوتِ، وكانوا زُهاءَ ثَلاثينَ ألفًا، فَأَمَاتَهم اللهُ كَمَوتَةِ نفسٍ واحدةٍ، فَصَاروا رُفاتًا، ثمَّ مَرَّ عليهم رسول الولايةِ حزقيل (علينا سلامُهُ) وَنَاجى ربَّهُ في أمرِهم فَأَوْحَى اللهُ تعالى إليهِ لِيَأخُذَ الْمَاءَ وَيَرُشَّهُ عليهم، فَرَشَّ عليهم الْمَاءَ فأحياهُمُ اللهُ بأمرِهِ، وهو قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ).

فِي مِثلِ هذا اليومِ أيضًا نصرَ اللهُ تعالى رسولَهُ وأمَّتَهُ على الأحزابِ في معركةِ الخندقِ، وَسُمِّيَ يَومُ الأحزابِ، ونزلَتِ الآية: (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ

وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)، حتى أنَّ الصَّحابيَّ الجليلَ عبدَ اللهِ بن مسعود (ع) كان يقرأُ الآيةَ: (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِعَلِيٍّ)، لأنَّ هذه الْمَعركةَ لم يَحْدُثْ فيها قتالٌ بعدَ أن قَتَلَ أميرُ المؤمنين الإمامُ علي (م) فارسَ الْمُشركينَ عَمْرو بن ودٍّ العامري (لع) وهَزَمَ أحزابَهُم، وفي هذه الحادثةِ قال سيِّدنا رسول الله محمَّد (ص): (برزَ الإيمانُ كلُّهُ إلى الشِّركِ كلِّهِ).

هكذا يكونُ الواجبُ أنْ نُحافظَ على استذكارِ ما يَرتَبطُ بهِ، فَلَطَالَما كانَ الأمرُ حَقًّا فإنَّ هذا لا يَمْنَعُ من اسْتِذْكَارِهِ والاستفادةِ منه.

في يومِ النَّوروزِ أيضًا أظهرَ اللهُ تعالى رسالةَ الحقِّ في بلادِ فارسَ قبل الإسلامِ، وبَعَثَ لهم مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ، لأنَّ اللهَ لم يَحْصُرْ رِسَالاتِهِ للعَرَبِ، إذْ لا يَمْنَعُ رَحْمَتَهُ عن أحَدٍ، ولا يَتْرُكُ لأحدٍ حُجَّةً ليَقولَ لَهُ: لم تَدْعُنَا ولو كنتَ دَعَوتَنَا لأجَبْنَاكَ!

فاللهُ تعالى بعثَ في بلادِ فارسَ مَلِكًا اسمُهُ أزدشير بن بابك بن ساسان، وقد ظَهَرَ في أواخرِ القرنِ الثَّاني للميلادِ، وتُوِّجَ مَلِكًا وَحيدًا في الفترة ٢٢٤-٢٤٢ م، وَتَمَيَّزَتْ دَولتُهُ بتَحقيقِ العَدلِ والْمُثُلِ الأخلاقيَّةِ والْمَبادئِ الإنسانيَّةِ في تَعاليمِها. وكانَ مِن الْمَأثورِ عنهُ مَبَادِئُهُ العَادِلةُ في الْمُلْكِ حيثُ كانَ يقولُ: (سلطانٌ عادلٌ خيرٌ من مَطَرٍ وَابِلٍ). كما أنَّهُ كانَ يُحَذِّرُ من الانجرَارِ وراءَ الدُّنيا، ومن أقوالِهِ في ذلك: (ولا تَرْكُنُوا إلى هذهِ الدُّنيا فإنَّها لا تُبقي على أَحَدٍ، ولا تَتركُوها بلا عَمَلٍ فإنَّ الآخرةَ لا تُنالُ إلاَّ بها).

كما بعثَ اللهُ بعدَهُ الْمَلِكَ سابور بن أزدشير وكانَ على النَّهجِ نفسِهِ في العدلِ، ومِن تَعاليمِهِ في محاربةِ الفاسدين قوله: (انحطاطُ ألفٍ من العَلِيَّةِ، أَحْمَدُ عَاقِبَةً من ارتفاعِ واحدٍ من السَّفَلَةِ)، وذلكَ لِمَا في استلامِ الْمُفسِدينِ للمَناصبِ مِن كَوَارِثَ قد تَعُمُّ البلادَ. كما أنَّ له من عَظيمِ الحكمةِ قوله: (كلامُ العاقلِ كُلُّهُ أمثالٌ، وكلامُ الجاهلِ كُلُّهُ آمالٌ)، وهو يَتَلاقَى مع قولهِ تعالى: (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ)، وقولِ سيدنا النَّبيِّ عيسى المسيح (ع) حين سُئلَ: لِمَاذا تكلِّمُهُم بالأمثالِ؟ فأجاب: (لأنَّهُ قد أعطيَ لكم أن تَعرفوا أسرارَ ملكوتِ السَّماواتِ، وأمَّا أولئكَ فلم يُعطَ، فإنَّ مَن له سيُعطى ويُزاد، وأما مَن ليس له فالذي عندَهُ سيُؤخذُ منه).

امتثالاً لأوامرِ الأئمَّةِ (علينا سلامُهُم) في إقامةِ أعمالِ هذا اليومِ يجبُ أن نَصُومَ هذا اليومَ ونُحْيِيَهُ بالصَّلاةِ والتَّذاكرِ بالعلومِ الدِّينيَّةِ لتُقبَلَ أعمالُنا بمِقْدَارِ مَعَارِفِنا، امتثالاً لقولِ سيِّدتنا فاطمةَ

الزَّهراء (ع): (جعلَ اللّهُ معرفَتَهُ تطهيرًا لكم من الشـــِّركِ، والصـــَّلاةَ تنزيهًا لكم عن الكِبْرِ، والزَّكاةَ تزكيةً للنَّفسِ وَنَمَاءً في الرِّزقِ، والصِّيامَ تَثبيتًا للإخلاصِ، والحَجَّ تَشييدًا للدِّينِ).

فحضـــورُ مجالسِ العلمِ لِتَعَلُّمِ الآدابِ والعلومِ الدِّينيَّةِ وأصـــولِ الفِقْهِ إحياءٌ لأمرِ اللّهِ وأنبيائِهِ وأئمَّتِهِ لقولِ الإمام جعفر الصـــَّادق (علينا ســـلامُهُ): (أحيوا أمرَنا، رَحِمَ اللّهُ مَن أحيا أمرَنا)، فقيل: وكيف يُحيَى أمرُكُم؟ قال: (أن تَتَعَلَّمُوا عُلُومَنا وتُعَلِّمُوها لِمُســـْتَحِقِّيها، فإنَّ النَّاسَ لو عَلِمُوا مَحَاســـِنَ كلامِنا لاتَّبعونا).

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد